الصدق في الطب

من المعلوم ان الصدق رأس الفضائل حتى لا مشاحة في وصفه هذا ولكنه قد يكون احياناً والكذب افضل منه حين اعتبار النتيجة ولهذا ورد في احدى مقامات مجمع البحرين قوله

والصدق ان اتاك تحت العطب لا خير فيه فاعتصم بالكذب

الا ان من الكذب ما يستفيد به نفس قائله وحده من مضرة سواه وهو عين الكذب المحض ومنه ما لا فائدة منه لقائله بل كل الفائدة لسواه وهو ما لا بأس به بل لا بد منه احياناً وان انكره بعض المغالين

اما اكثر الناس كذبا واشدهم دنواً من العذر فيه بل اشدهم دنواً من الفضل بسببه فهم الاطباء الذين يكذبون على المرضى واهلهم قصد شفائهم وراحة ضمائرهم فان هذا قد يعدونه مقدما على الطب نفسه لعظم فائدته ولطف وقعه ولكن احد كبار الاطباء قد انبرى مرة لشأن السل الرئوي فقال انه يعتد من اكبر الجرائم ان يكذب الطبيب على مريضه المسلول فلا يذكر له حقيقة مرضه وذلك لان كتمان امره عنه مما يزيد وقع المرض عليه ويقرب البلية اليه مع انه لو قال له الحقيقة وصدق لامكنت نجاته من موته اذ يزيد اتقاء وحمية

ولقد جرى في هذا الشأن جدال فما وجدوا رأي الطبيب رأياً لانهم يعتقدون ان النفس حاكمة على الجسد وليس هو الحاكم عليها وانه متى عرفت النفس بالخطر المحيق بها ضعف حكمها على الجسد حتى يضعف وتضعف هي

معه في النهاية لحد الزوال . وقد كان في جملة ما قاله احد الاطباء انه لايجب الكذب على العليل فقط من جهة ذكر علته بل يجب الامعان في الكذب الى حد العمليات الجراحية فلا يذكر للعليل بانه ستجرى له عملية او انه في حاجة اليها بل يجب ان تعصى ارادته ومشورته فتجري له العملية دون توقع منه لها وقد كان في جملة دعاويه على ذلك ان المريض اذا احتيل عليه فخدر وهو لا يدري كان التخدير اسرع واشد والنجاح اظهر واتم بخلاف ما لو قيل له انه سيخدر وانه ستقطع رجله او يدخل المبضع الى احشائه فان نفسه عند ذاك العلم تضطرب اضطراباً شديداً وتظهر قوة تنبه من ضعف حتى يتعذر تخدير جسمه بسهولة فيكون من ذلك خطر عليه بل انه اذا علم بامر العملية فقد لا يرضاها لشدة تصور هولها مع انها لا تكون كذلك وهو ما يضاعف عليه الخطر الى حد الموت ولهذا تكون الخديعة والكذب في هذه الاحوال افضل ما يعالج به عليل كما يقولون ولعلهم على سداد لان توقع الشر شر منه بالحقيقة ولقد طالما اودى الانسان توقع المكروه قبل حدوثه في حين يكون قد وقع بذاته على سواه في حالة اشد فما ارداه

ومعلوم ان الانسان يدفع الموت عن نفسه دفعاً وهو في آخر رمق من حياته وذلك لما ركب في طبعه من الامل البعيد فهو اذا أعين على هذا الامل من سواه ازداد وقعه للمنية وقل شعوره بها فمات وهو لا يدري بانه سيموت وهو موت ذكروا بعد التحقق انه مقبول سهل بخلاف موت اليائس كل اليأس من الحياة لقول طبيبه له بانه سيموت فان موته يكون فظيعاً ودفاع نفسه عن الحياة يكون هائلاً شديداً حتى لقد ذكر احد الاطباء ان الضرورات كانت تقضي عليه احياناً بان يقول لعليل انك لا تعيش الا لغد

وذلك قصد ان يوصي بشيء او يعترف بسر ولكنه قال ان ذلك الانذار كان معتبراً لديه كاشد جريمة يرتكبها حتى لقد يظن انه هو القاتل لعليله بانذاره وذلك لانه يعتبر الاحتضار صعب الاحتمال الى حد لا يدركه سليم ويرى ان انطلاق روح العليل بسلام من اكبر واجبات الانسانية . ولقد قال ان من الحالات ما يجب الكذب بها من جهة العكس فيبالغ الطبيب في ذكر الخطر المحيق بالمصاب ويصور له الموت امام عينيه اذا اهمل امره ولكن هذا يصح حين يصاب انسان بجرح مثلاً فانه اذا اهمله فقد يموت حقيقة ولكنه مهما انذر بالسوء اذا اهمل لا يزيد انذاره شيئاً في تألمه من جرحه او بعده عن الشفاء منه لان النفس تكون سليمة حينئذ وليس بها ضعف نفس المسلول وامثاله ولهذا لا يكون مقدار جزعها مؤثراً بالجرح بمقدار تأثير العلاج الذي اوجبه الانذار . ولعل هذه الاراء هي الصحيحة والمعول عليها لدى عامة الاطباء الان لان قول الطبيب الآنف الذكر عن المسلول قد انكره الاكثرون